المحاضرة7: علم الطب والصيدلة

أولا: علم الطب في الغرب الإسلامي

1/ تعريف الطب:

''هو صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح؛ فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية؛ بعد أن يُبيّن المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الأدوية؛ مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله للدواء''

2/ الطب عند المسلمين:

اهتم المسلمون بالطب منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ووردت عنه عدة أحاديث تدعوا إلى التداوي؛ كما سعى العلماء إلى جمع الأحاديث التي لها علاقة بالصفة الطبية؛ وأول من كتب في هذا المجال: **ابن السني(ت364هـ)** حيث ألف كتاب:''**الطب النبوي**"/ أبو عتاب **عبد الله والحسين بن بسطام(أواخرالقرن4هـ)** وأسمياه:" **طب الأئمة**'' نسبة لأقوال الأئمة الشيعة في هذا المجال؛ استمر الاهتمام بهذا المجال في العصر الوسيط إلى القرن9هم 15م لكن كان في الجانب المشرقي أكثر من المغربي، رغم أنّ ذلك لا ينفي اهتمام المغاربة بالطب والتأليف فيه.

3/ الطب في بلاد الغرب الإسلامي:

اهتم أهل المغرب بالطب وحرصوا على إقامة'' البيمارستانات'' وهي المراكز الطبية العلاجية؛ مثاله في العهد الأغلبي ما قام به الأمير'' إبراهيم بن الأغلب الثاني''(حكم مابين875-902م) والذي يُعد أول من بنى بيمارستانا في المغرب؛ وفي العهد الموحدي أمر الخليفة الموحدي'' **يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن**''(1184-1199م) ببناء بيمارستان للمرضى والمجانين'' في مراكش وشالة وخصص نفقة عليها وعلى أهلها؛ واستمر الاهتمام بالطب في دول المغرب مابعد ذلك ولقي اهتماما من طرف الحكام مثاله اهتمام الزيانيين باقتناء نفائس الكتب في الطب والصيدلة وعلم النبات.

وبالنسبة لتدريس الطب فكان يتم داخل البيمارستان نظريا كما يمارس المتعلمون الجانب التطبيقي بها؛ وكان يلزم على الطالب المتعلم أن يكون ملما باللغات الأجنبية خاصة السريانية واليونانية لأن أغلب الكتب الطبية كانت بهاتين اللغتين ؛بحيث يتخصصون في أنواع الأمراض الباطنية والجراحية مثل: الكحالين وهم مختصون في طب العيون.

4/ أشهر الأطباء والمؤلفات الطبية في بلاد الغرب الإسلامي:

أ/ في المغرب:

اشتهر في بلاد المغرب الكثير من الأطباء منذ الفتح الإسلامي نذكر على سبيل المثال: "**الطبيب السرياني''أبو يوحنا ماسويه**'' وكان في خدمة الوالي''**يزيد بن حاتم المهلبي**''(161-170هـ)/ وأيضا الطبيب''**إسحاق بن عمران**'' كان في عهد الدولة الأغلبية ومن أهم مؤلفاته كتاب''**الأدوية المفردة**''-''**كتاب في الفصد**''-''**كتاب في النبض**''؛ وفي العهد الفاطمي برز العديد من الأطباء منهم الطبيب''**أبو الفضل بن الفضل بن ظفر**''(ت323هـ) وهو أحد أطباء بيت الحكمة القيرواني/ وفي صقلية الطبيب''**أبو عبد الله الصقلي**''وهو طبيب متقن للغة اليونانية ساهم في ترجمة **كتابّ ديسقوريدس** بالأندلس في عهد الخليفة الناصر.

في عهد الدولة الحمادية بالمغرب الأوسط برع الكثير من الأطباء من أشهرهم الطبيب: **ابن النباش البجائي**/ والطبيب **أبو جعفر القلعي"عمر بن البيدوخ"**(ت575هـ) وكان أيضا خبيرا في الأدوية وألف عدد من الكتب منها: **كتاب حواش على كتاب القانة لابن سينا– ذخيرة الألباب في الباءة**/ الطبيب"**محمد بن أبي بكر المنصور القلعي**" والذي نبغ أيضا في الرياضيات والحساب وعلم الفرائض؛ ومن الأطباء في العهد الموحدي نجد: **أبو بكر يحي بن محمد السلوي**(ت563هـ).
وفي العهد الزياني اشتهر الطبيب"**أبو القاسم محمد بن أبي القاسم الشاطبي التلمساني**" الذي كان الطبيب الخاص للسلطان"أبو تاشفين الأول".

ب/ في الأندلس:

–الزهراوي(أبو القاسم خلف بن عباس):(324-403هـ/936-1013م):طبيب عربي مسلم ورائد الجراحة في الأندلس؛ ولد في مدينة الزهراء بإحدى ضواحي قرطبة؛ له العديد من المؤلفات في المجال الطبي من أشهرها: **كتاب نور العين– كتاب تفسير الأكيال والأوزان– كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف**: وهو موسوعة طبية من أشهر موسوعات الطب في العالم وأقدمها تأليفا وأبقاها حضورا وتأثيرا في ميدان الطب والأطباء، وقد ترجمت إلى اللغة اللاتينية وإلى العبرية؛ وقال عنها العالم الفيزيولوجي"هالر": "كانت كتب أبي القاسم المصدر العام الذي استقى منه جميع من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر)؛ ويتألف كتاب التصريف من 3 أبواب كل باب مقسم إلى 20 فصل يغطي معظم مجالات الطب والصيدلة.

ومن أشهر اختراعات الزهراوي الطبية نذكر:–هو أول من أدخل استعمال القطن في المعالجات الطبية/ إليه يُنسب معرفته ب"الفالج الناقص" وهو الشلل النصفي البسيط، لان القوي منها يسمى في الطب الحديث"شلل العصب المخي"أو"شلل العصب الوجهي"/إليه يُنسب استخدام خيوط في الجراحة وهي تُستعمل اليوم في الجراحات، وكان الزهراوي يصنع تلك الخيوط من أمعاء الحيوانات/ هو أول من استخدم الكي بالنار لوقف النزيف/استخدم الكلاليب الخاصة لقلع الأسنان واستخدم عظام الحيوانات لصنع أسنان بديلة/ أجرى عمليات استئصال اللوزتين عن طريق شق القصبة الهوائية بسنارة/ اخترع آلة تساعد على إخراج الجنين في حالة تعسر الولادة/ أول من أجرى عمليات لاستخراج الحصوات من المسالك البولية(المثانة)/ ساهم في علاج الكسور وتطور جراحة العظام.

–ابن زهر:هو أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ أَبِي العَلَاءِ بْنِ زُهْرٍ المعروفُ بِابْنِ زُهْر: الطبيبُ الأندلسيُّ النَّطَاسِيُّ من أهل إشبيلية (464–557 هـ) لقب «ابن زهر» هو كنيةُ أسرةٍ من علماء المسلمين نشأت في الأندلس من بداية القرن العاشر إلى أوائل القرن الثالث عشر الميلادي؛ وأشهرهم هو الطبيب «عبد الملك بن زهر»، وهو ينحدر من عائلة عريقة في الطب، فقد كان والده أبو العلاء طبيباً ماهراً في التشخيص والعلاج، وكان جده طبيباً أيضاً؛ أدرك ابن زهر دولة المرابطين (الملثمين) فقد لحق بخدمتهم مع والده «أبي العلاء» في آخر دولتهم؛ وعند قيام الدولة الموحدية خدم ابن زهر «بني عبد المؤمن» فاشتغل طبيباً ووزيراً مع عبد المؤمن مؤسس الدولة فشمله برعايته، مما مكنه من تأليف أفضل كتبه ثم خدم ابنه" أبو يعقوب يوسف"؛ من مؤلفاته المترجمة إلى اللاتينية؛ "**التيسير في المداواة والتدبير وكتاب الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد**".

–ابن البيطار ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي (1197-1248م). يُعد من أعظم علماء العصر الذهبي للإسلام في علوم النبات والعقاقير، ويُلقب "بشيخ العشابين"؛ أسهم بشكل كبير في الطب والصيدلة من خلال تأليفه لموسوعات وأبحاث علمية تعتمد على المشاهدة والتجربة، اكتشف خلالها العديد من العقاقير الجديدة؛ سافر إلى شمال إفريقيا ومصر والشام واليونان لجمع عينات النباتات ودراستها مما أثرى معارفه بشكل كبير؛ من أشهر مؤلفاته "**الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**" و"**تفسير كتاب ديسقوريدس**" و"**المغني في الأدوية المفردة**".

ثانيا: علم الصيدلة في الغرب الإسلامي

-1/ تعريف الصيدلة:

"**هي مهنة علمية تختص بالبحث في أصول الأدوية وتحضيرها سواء كانت نباتية أو حيوانية أم معدنية، من حيث تركيبها ومعرفة خواصها الطبيعية والكيميائية وتأثيرها الطبي**"؛ عرفها البيروني بأنها''**معرفة العقاقير المفردة بأجناسها وأنواعها وصورها المخارة لها؛ وخلط المكونات من الأدوية واستخراج الأجود منها**"؛ وتعرف الصيدلة باسم''علم الأدوية'' وهي علم وفن وصناعة أساسها مصدر التداوي أو العلاج.

-2/ نشأة وتطور علم الصيدلة بالغرب الإسلامي:

تُعد الصيدلة من العلوم التي أسهم فيها المسلمون إسهاما خاصا وأنشأوا المدارس لتعليمها وتطويرها وأبدعوا في التآليف الخاصة بصناعة الأدوية، كما أخضعوها لنظام الحسبة لمراقبتها من التدليس والغش لارتباطها بحياة الناس؛ وكانت بداياتها تابعة للطب إذ كان الطبيب هو ذاته الصيدلاني أي يصنع الدواء ويركبه ويُقدمه للمريض؛ ومع كثرة الأمراض وتطور النظر فيها استدعى الأمر التفرغ لها وحدها وهنا انقسمت صناعة الطب إلى قسمين: تشخيصي وعلاجي-نظري وعملي- وانفصلت صناعة الطب عن صناعة العقاقير.

شهد علم الصيدلة ازدهارا في المغرب والأندلس بفعل تطور الحواضر في المنطقة، وارتباط صناعة الدواء بعملية التسويق، فكانت بعض الصيدليات يمتلكها أطباء بالأسواق مثل: سوق العطارين بتلمسان ويباع فيها الأدوية التي يحضرها الأطباء والحكماء في منازلهم وتباع للمرضى من خلال وصفة طبية؛ ومن عوامل تطور علم الصيدلة وصناعة الأدوية في بلاد المغرب توفر بيئة بلاد المغرب والأندلس على أصناف عدة من النباتات والأعشاب الطبية المستعملة في تركيب الأدوية؛ وعرفت بلاد المغرب انفصال الطب عن الصيدلة من خلال دور ابن الجزار الذي فصل بين الفحص وإعطاء الدواء، وأصبحت مهنة الصيدلة مستقلة ومتكاملة مع مهنة الطب.

3/ أشهر من برع في مجال الصيدلة بالغرب الإسلامي:

-**ابن جلجل الأندلسي هو أبو داود سليمان بن حسان** (ولد عام 332 هـ)، طبيب وصيدلي أندلسي؛ هتم ابن جلجل بكتاب الحشائش لديوسقوريدس فعمل على شرحه وتفسيره والتعليق عليه، وبخاصة على أسماء الأدوية وذلك في أكثر من مؤلف؛ منها «**تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدوس**» الذي أتمه في ربيع الأول 372 هـ و«**مقالة في ذكر الأدوية المفردة التي لم يذكرها ديسقوريدس**»، كما كتب أيضًا بعض التصانيف الأخرى مثل «**رسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين**»، و«**مقالة في أدوية الترياق**». غير أن أشهر كتبه هو كتاب «**طبقات الأطباء والحكماء**» الذي أتمه عام 377هـ الذي يعد ثاني أقدم تأريخ للأطباء كتب بالعربية بعد كتاب اسحاق بن حنين.

- أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي: عالم أندلسي ولد في بلدة دانية وهي قصبة الناحية الشمالية الشرقية من كورة القفت شرقي الأندلس عام 460هـ /1067م ونشأ فيها؛ ثم انتقل إلى إشبيلية فنسب إليها واستقر فيها وبعدها هاجر منها سنة 489هـ/ 1096م متجهاً إلى المهدية بتونس حيث دخل في خدمة صاحبها تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي. وتوفي فيها عام 529 هـ / 1134م؛ من أشهر مؤلفاته في مجال علم الصيدلة كتابه "**الأدوية المفردة**"/ **الرسالة المصرية (في الطب)** ألفها لأبي طاهر بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس وصف فيها أحوال مصر جغرافياً وبشرياً واجتماعياً وثقافياً؛ وضمنها تراجم وانتقادات لبعض أطبائها.